

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس (٢٠) : الحديث الشريف (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح :

أيها الأخوة الكرام ؛ الحديث الشريف اليوم هو قول النبي صلى الله عليه وسلم :
((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))

[مسلم والنسائي عن جرير بن عبد الله البجلي]

هذا الحديث في صحيح مسلم .

أخواننا الكرام ، سمعت في بعض البلاد الإسلامية هناك وقف للتوفيق بين الأزواج ، فإذا علمت أن أحد أقربائك يوجد شقاق بينه وبين زوجته يبلغ هذا الوقف هناك خبراء ، و علماء ، و لقاءات ، و خبرات ، و تعليمات ، هذا وقف ، هذا سن في الإسلام سنة حسنة .
كان بالشام وقف للأواني المكسورة قد يكون صاحب العمل قاسياً جداً فإذا كان عنده موظف وانكسر معه إناء يذهب لهذا الوقف معه قطعة من هذا الإناء يأخذ إناء كاملاً .
وأحياناً يتفتق الذهن عن مشاريع لا تعد ولا تحصى ، سمعت في بعض البلاد عن وقف للمطالعة ، يوزع على الصغار كتباً قصصية بطباعة عالية جداً إلى أن يألف الطفل القراءة والمطالعة .

وكما أقول دائماً : الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق ، أي إذا الإنسان في حياته الدنيا فكر إنساني ، عمل يرتقي به إلى الله ، عمل صالح ، عمل إيجابي ، عمل فيه عطاء فهو الراجح لأن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح ، الدليل :

﴿ **وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا** ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٣٢]

والإنسان حينما يقترب أجله لا يندم إلا على شيء واحد ، على عمل صالح ما أُتيح له أن يفعله .
أحد الصالحين حفر في بيته قبراً ، بيته كبير ، حفر قبراً ، وكان يضطجع في هذا القبر كل
خميس ، ويثلو قوله تعالى :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾

[سورة المؤمنون الآية : ٩٩-١٠٠]

فيخاطب نفسه ويقول : قومي لقد أرجعناك ، تفضل .

العاقل من يعدّ للموت عدته :

أخواننا الكرام ؛ بالبرمجة العصبية اللغوية قاعدة رائعة ، ابدأ من النهاية ، النهاية الموت، ما
معنى الموت ؟ أي من بيت وقد يكون كبيراً ، من زوجة أنت اخترتها ، من أولاد ، من كنان ،
من بنات ، من أصهار ، من سهرات ، من سفرات ، من لقاءات ، من سفريات ، من رحلات ،
من صيفية بالمكان الفلاني ، هذا كله يلغى مع توقف القلب ، أي كل مكانة الإنسان ، وكل هيمنته،
وكل استمتاعه بالحياة ، مبني على قطر الشريان التاجي ، ميلي وربع ، فإذا ضاق هذا الشريان
التاجي دخل الإنسان في متاهات ، وكل مكانة الإنسان ، وكل هيمنته ، وكل عظمتة مبنية على
نمو الخلايا ، فإذا نمت هذه الخلايا نمواً عشوائياً انتهت حياته ، فالبطولة أن تعد لهذه الساعة التي
لا بد منها .

والله مرة شيعت أماً كريماً ، حينما وضع في قبره ، الفتحة التي أدخل منها للقبر صغيرة ،
وهناك قطعة حجر كبيرة تغطي هذه الفتحة ، لكن لا تغطيها تغطية كاملة ، ثم وضعت هذه
القطعة من الحجر فوق الفتحة وأهيل التراب عليه ، من بيت ، من زوجة ، من أولاد ، غرف
ضيوف ، غرف طعام ، لقاءات ، سهرات ، حفلات ، إلى هنا .

من اتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه :

أيها الأخوة الكرام : هل يستطيع أحد منكم وأنا واحد منكم أن يقول : أنا كل يوم استيقظ كالיום
السابق ؟ مستحيل ، في يوم من الأيام هناك طارئ جديد ، هذا الطارئ قد يتفقم ، إذا كان هذا
المرض مرض الموت ينتهي بالموت ، الموت مغادرة ، أين العقل ؟ أين الذكاء ؟ أين الحكمة ؟
هذه الساعة التي لا بد منها لا بد من أن نعمل لها ، هذه الساعة لا تلغي عملك ، لا تلغي تجارتك ،
لا تلغي صناعتك، لا تلغي وظيفتك ، تشتغل ، وترتقي ، وتتال درجات علمية عالية ، وتزوج ،
لكن تتحرك وفق المنهج، الشاهد القوي :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

عند علماء الأصول المعنى المخالف : الذي يتبع هواه وفق منهج الله لا شيء عليه ، أريد أن أطمئن الشباب أنه لا يوجد بالدين حرمان إطلاقاً ، لكن يوجد تنظيم ، هناك قنوات طاهرة ، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها .
لذلك هناك حديث آخر يتكامل مع هذا الحديث .

((كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار))

[مسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله]

طبعاً البدعة هنا في الدين لا في الدنيا ، في الدين تحدث شيئاً ما فعله النبي ، الأصل في الدين الحظر ، والأصل في الأشياء الإباحة ، بالدين الأصل هو الحظر ، ولا يحرم شيء إلا بالدليل ، لا يوجد تحريم مزاجي .

الطاعة في معروف :

أنا أقول لكم هذه القصة لكنها قصة خطيرة جداً ، النبي الكريم أمر صحابياً أنصارياً على سرية معها مهمة خاصة ، فلما خرجت هذه السرية قال أميرهم : أضرموا ناراً عظيمة ؟ فأضرموها ، قال : اقتحموها ، فكروا ، كيف نقتحمها وقد آمننا بالله فراراً منها ؟ فاعترضوا ، وجرى بينهم حوار ، اشتد الحوار ، فرجعوا إلى المدينة واستشاروا النبي الكريم ، اسمعوا ماذا قال ، قال : والله لو اقتحمتموها لازلتم فيها إلى يوم القيامة ، إنما الطاعة في معروف ، أي العقل لا يعطل ، إذاً :

((كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار))

[مسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله]

والمقصود بالبدعة ، البدعة في الدين لا في الدنيا ، أنا أقول كلاماً آخر ، أما البدعة في الدنيا فهي ضرورية ، كيف ؟ نريد أن نطور حياتنا ، نستخرج ثرواتنا ، نصنع هذه الثروات ، نستصلح الأراضي ، نعمل تعليماً مجانياً ، عندك مليار مشروع ، البدعة في الدنيا مطلوبة وواجبة ومندوبة.

سيدنا عمر عيّن والياً قال له : خذ عهدك ، أي خذ كتاب التعيين ، وانصرف إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأس سنتك ، وأنتك تصير إلى أربع خلال - كتاب التعيين هكذا - إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلناك لضعفك ، وسلمت منا أمانتك ، وإن وجدناك خائناً قوياً ، استهنا بقوتك ، وأوجعنا ظهرك ، وأحسننا أدبك ، وإن جمعت الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أميناً قوياً زدناك في عملك - تمديد - .

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

[سورة القصص الآية : ٢٦]

أخواننا الكرام ؛ كلمة دقيقة : هذا الدين توقيفي ، معنى توقيفي لا يضاف عليه ولا يحذف منه ، إن أضفنا عليه تقائلنا ، والدماء في عدة أقطار عربية إلى الركب ، أضيف على الدين ما ليس منه، وإن حذفنا منه ضعفنا ، احفظوا هاتين الكلمتين : نضيف على الدين ما ليس منه ، نحذف منه ما علم بالضرورة نضعف ، حذفنا الجهاد ضعفنا ، أضفنا انتشرت الفرق الضالة .

أخواننا الكرام ، إذا أضيف على هذا الدين شيء أو حذف منه شيء دخلنا في الفرق الضالة . مرة اجتهدت أن أحدد صفات جميع الفرق الضالة مجتمعة ، وجدت هذه الصفات ثلاث: تأليه الأشخاص ، وتخفيف التكاليف ، والنزعة العدوانية ، لا يوجد فرقة ضالة في الدين إلا توله الأشخاص ، وتخفف التكاليف ، وذات نزعة عدوانية ، والحقيقة التجديد ، وهناك أناس يصرون على التجديد بالدين ، وأنا أحياناً معهم ، التجديد في الدين يعني التجديد في الخطاب الديني ، أنت إذا جئت بقضية علمية القرآن أشار إليها فلا شيء في ذلك .

مثلاً : رائد الفضاء عندما صعد إلى القمر بعد أن قطع مئات ألوف الكيلو مترات يقول: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً ، ما الذي حصل ؟ حصل حينما كان رواد الفضاء في طبقة الهواء كان هناك تناثر ضوء ، والتناثر حينما يتلقى الهواء أشعة الشمس ذراته تعكس هذه الأشعة على مكان آخر ، بيتك في عمان ، في النهار لا يوجد أشعة شمس ، لكن يوجد ضوء ، ما هذا الضوء؟ ضوء الشمس ، فهذا جاء من التناثر ، فلما تجاوز رواد الفضاء طبقة الهواء ، لم يعد هناك تناثر، صار ظلام دامس ، فصاح رائد الفضاء : لقد أصبحنا عمياناً لا نرى شيئاً ، عالم كبير من علماء الفلك كان بفلوريدا وهو من مصر سمع هذه الكلمة بأذنه ، التغي تناثر الضوء ، افتح القرآن الذي نزل قبل ألف و أربعمئة عام :

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ

قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾

[سورة الحجر الآية : ١٤ - ١٥]

أخواننا الكرام ؛ الآن إن أضفنا تقائلنا كما يجري ، وإن حذفنا ضعفنا ، فهذا الدين توقيفي لا يضاف عليه ، ولا يحذف منه ، إن أضفت عليه كأنك تتهمه ظلماً أن فيه أشياء ناقصة ، إن أضفت عليه إنك بهذه الإضافة تتهمه بالنقصان ، وإن حذفنا منه تتهمه بالزيادة ، الدين توقيفي ، لكن أنا أرى أن التجديد في الدين هو تجديد في الخطاب الديني ، حينما تأتي بالقضايا العلمية ، حينما تأتي بالنصوص الصحيحة ، تأتي بقصة مؤثرة جداً ، حينما تخاطب عقل الإنسان وقلبه معاً هذا التجديد في الخطاب الديني هذا مقبول .

أخواننا الكرام ؛ الآية تقول :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[سورة الحجرات الآية : ١٠]

ما لم يكن انتماءنا إلى مجموع المؤمنين في الإسلام لا يوجد فقاعات ، طبعاً مع عصور التخلف صار هناك فقاعات ، أما الانتماء فيجب أن يكون لمجموع المؤمنين ، والدليل الآية :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[سورة الحجرات الآية : ١٠]

هناك شيء آخر : هناك من يتوهم أن الإسلام خط رفيع ، كل فرقة إسلامية ، وكل حلقة تعتقد أن دينها خط رفيع ، فإن خرجت عن هذا الخط قيد أنملة ، خرجت من الدين ، الإسلام شريط عريض يتسع لكل اتجاهات الدين ، ما دامت العقيدة صحيحة ، والاستقامة موفورة ، فلذلك التوقع ليس من الدين ، من هنا أريد أن أؤكد لكم أن هناك دائرة - وهذا الكلام دقيق - هذه الدائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط ، خط النقل الصحيح ، ديننا دين نقل ، عن السماء ، ديننا دين وحي ، القرآن وحي متلو ، والسنة وحي غير متلو ، والدليل :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

[سورة النجم الآية : ٣ - ٤]

فكلام النبي وحي غير متلو ، وكلام الله عز وجل كلام متلو ، إلا أنني أتخفظ وأقول : ما صحّ من كلام النبي ، هناك أحاديث موضوعة ليس لها أصل .

فهناك دائرة ، تتقاطع في هذه الدائرة أربعة خطوط ، الخط الأول : خط النقل الصحيح ديننا دين نقل ، نقل عن السماء ، قرآن وسنة ، فأول شيء بالحق النقل الصحيح ، والخط الثاني العقل الصريح ، هناك عقل تبريري مرفوض ، و عقل صريح ، أحياناً تأتي دولة عظمى ، تحتل بلداً عربياً تقول : جننا من أجل الحرية ، هذا كذب ، وكذب ، وكذب ، فعندنا نقل صحيح ، وعقل صريح غير التبريري ، والإنسان أحياناً بذكائه يرتكب أعمالاً سيئة جداً يغلفها بغلاف راق ، فرعون قال :

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾

[سورة غافر الآية : ٢٩]

هذا فرعون نفسه ، فكل إنسان ينمق كلامه ، يضيف على أعماله طابعاً إنسانياً ، وأساساً كل ما يجري بالعالم الإسلامي مغطى بكلام معسول ، يقول لك : شأن داخلي ، أنت تستطيع أن تنتهي

الأزمة بدقيقة ، بإنذار ، بحظر جوي ، شأن داخلي ، أي أنت راض أن يجري في هذا البلد ما يجري لكن تحت غطاء شأن داخلي .

الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط :

فلذلك أيها الأخوة ؛ هذه الدائرة فيها أربعة خطوط : خط النقل الصحيح ، وخط العقل الصريح ، وخط الفطرة السليمة ، وخط الواقع الموضوعي .

سأقول كل كلمة ، ولماذا وصفتها بذلك ؟ خط النقل الصحيح أن هناك نقلاً غير صحيح - حديث موضوع - ، وخط العقل الصريح هناك عقل تبريري مرفوض ، وخط الفطرة السليمة ، هناك فطرة منطمسة ، وخط الواقع الموضوعي ، مثلاً هناك هجوم على الدين من التعدد عندنا ، من يصدق أن نسبة التعدد ثلاثة بالمئة ، الغرب يضخم التعدد ، أربع زوجات ، ثلاثة بالمئة فقط ، أي عندك زوجة سالحة لا تنجب ، وأنت أكرمك الله بالمال ، هل من المعقول أن تبقى من دون ذرية؟ أنت ما طلقته ، أكرمتها أعلى إكرام ، لكن أضفت لهذه الزوجة زوجة تنجب فقط ، فنحن نقول للناس : التعدد عندنا ثلاثة بالمئة فقط .

فأنا دائماً أريد نقلاً صحيحاً ، وعقلاً صريحاً ، وفطرة سليمة ، وواقعاً موضوعياً ، هذا الذي يمكن أن نحرص عليه .

أخواننا الكرام ، هناك دائرة ، كل إنسان لم يؤمن بالله خارج هذه الدائرة ، ومن آمن بالله ضمن هذه الدائرة ، ضمن هذه الدائرة يوجد دائرة - من آمن بالله ولم يلتزم بالقسم الخارجي - ثانية ، من آمن بالله والتزم فهو ضمن هذه الدائرة الثانية ، والأنبياء في المركز معصومون ، فهناك دائرة خارجها كفار داخلها مؤمنون غير ملتزمين ، مؤمن ملتزم ، بعد ذلك أنبياء ، فهذه الدوائر تقريباً تؤكد أن الحق ما جاء به النقل الصحيح ، وقبله العقل الصريح ، وارتاحت إليه الفطر السليمة ، وأكدته الواقع الموضوعي .

والحمد لله رب العالمين